جنود المصريين القدماء

ملخصة ما كتبه الشهير ولكنسن بقلم جناب نسيم افندي برباري

كان للجنود عند المصريين القدماء المقام الثاني في الهيئة الاجتماعية وكانوا مخصصين بثلث ارض مصر وقد علل ذلك المؤرخ ديودورس بقوله ان الذين يتملكون في البلاد يتحمون الاخطار للمدافعة عنها حرصاً على املاكهم فيها من ان تعبث بها الاعداء بخلاف الذين لا يملكون عقارًا فانهُ لا يهمهم ذلك ولهذا جُعل الجنود من أصحاب العقار. وأيضًا ان سعة العيش والرخاء تزيدان عدد السكان فاذا تمكن الجنود من تحصيل معيشتهم على هذه الطريقة ازداد عددهم كثيرًا واستغنت البلاد بهم عن الجنود الغريبة التي تستاجرها . وبما ان شرائع المصريين تقضي على الولد باتباع حرفة ابيهِ فاولاد الجنود يتعلمون من والديهم فنون الحرب فلا يمضي جيلٌ او جيلان حتى يصبح جيش البلاد في غاية القوة والمنعة انتهى

ولم يتصل الينا نبأٌ عن مدارس المصريين العسكرية ولذلك لا يمكن الحكم بوجودها ولا بعدمهِ . وغاية ما يقال ان امةً عظيمة وصلت الى درجة عليا من التقدم كمصر القديمة لا يبعد انها استنبطت طريقة لتعليم شبانها فنون الحرب ولا سيما لانهُ كان للجنود شانٌ عظيم عندها . ومن الادلة على صحة هذا القول ان ديودورس المؤرخ أشار في معرض كلامهِ عن تربية الملك رعمسيس الى نظامٍ اتخذهُ معلموهُ لتخريجهِ في الفنون الحربية فلا يبعد انهم اتبعوهُ بعد ذلك

وكان على كل جنديٍ عندهم ان يحضر الاسلحة والمهمات والعدد اللازمة لهُ وان يكون متأهبًا للحرب دائمًا او متيمًا في القلاع التي كانت منتشرة في عشر مُدُنٍ حصينة من بورت سعيد في الشمال الى اصوان في الجنوب

وقد جاء في تاريخ هيرودوتس انهُ كان لكل جندي نحو ١٢٠ الف ذراع مربعة من الارض يحرثها ويأكل ريعها بدون ان يدفع عنها ضريبة . وقد كان للجنود امتياز آخر وهو انهُ لا يمكن سجن احدٍ منهم لاجل دينٍ بدعوى انهم يحمون الديار فاذا سجنتهم الحكومة الملكية تعرضت البلاد لهجمات الاعداء

وكان الجيش المصري منقسمًا الى قسمين عظيمين عددهما اربعماية وعشرة آلاف رجل ينتخب من كلٍ من هذين القسمين الف رجل كل سنة لتاليف الحرس الملكي

وتنفق لهم العلوفة الكافية مدة خدمتهم من الخبز والخمر واللحم

وفي مدة السلم كان الجنود يحرثون ارضهم ويزرعونها فتنوى ابدانهم ويحصلون منها كفافهم ولكنهم كانوا يُمنعون عن الصنائع والحرف بدعوى انها دنيئة لاتليق بالجنود المدافعين عن الوطن وكانوا يتمرنون على الالعاب الرياضيَّة والمصارعة والحركات الحربيَّة وغير ذلك مما لاغنى عنه للجيش المنظم

وكان معظم الجيش من الرماة وهم ملاء الركن الاعظم فيه وكانوا يحاربون مشاة او في المركبات ومنهم يتألف جناحا الجيش وكان وسطه مؤلفًا من المشاة ايضًا اما الفرسان فكانوا يحيطون به من كل الجوانب لتعزيزه وتقويته

ولبس بين النقوش القديمة صورة فرسان الاَّ في اربعة اماكن او خمسة في الصعيد وهي هناك مصورة بين عساكر الاعداء ولعلَّ النقاشين المصريين قصدوا بذلك ان فرسان بقيَّة الشعوب تزيد على فرسانهم . وقد شاهد ولكنسن وسولت صورة رجل راكب على حصان على احد الآثار القديمة في اسنا وهي من زمان الرومانيين ولم يريا حولها كتابة يستدلُّ منها شيء . وقد وجدت فأس عليها صورة فارس وهي قديمة العهد والمظنون ان المصريين القدماء لم يعتمدوا على الفرسان حتَّى غزوا الممالك الاسيويَّة ورأوا قوة فرسانها فجندوا الفرسان بين جيوشهم وقد فعل اليونان كذلك فانهم لم يعرفوا اهميَّة الفرسان حتَّى انتشبت الحروب بينهم وبين الفرس . وقد ذكر ديودورس انه كان في جيش سيسوستريس ٢٤ الف فارس و٢٧ الف مركبة من مركبات الحرب . ولما صعد شيشق لمحاربة اورشليم اخذ معه ٦٠ الف فارس ويستدل من الكتابات القديمة ان قيادة الفرسان كانت من اهم الوظائف الحربيَّة وكانت تعطى غالبًا لمن نبغ من اولاد الملك

وكان الجيش مقسومًا الى الايات بحسب تقسيم الجيش اليوناني وكانت الايات مقسومة الى اورطٍ وفرقٍ ولكل منها سلاح مخصوص كالقسي والمزاريق والسيوف والمقاليع وما اشبه وكان الضباط رؤساء الوف ومئات وعشرات اما اعلام الجنود فتختلف باختلاف الاورط وهي في الغالب صور رمزيَّة كقارب مقدس او صيوان مقدس او نحو ذلك وكان لها تأثير عظيم في تشديد هم الجنود لانهم كانوا يقتدون بحاملي العلم من اسمى الوظائف ولذلك لم تكن تعطى الاَّ للقواد المحنكين وكانوا يلبسون في اعناقهم قلادة عليها صورة اسدين رمزًا للشجاعة وصورة ذبابتين قال هوميروس الشاعر انها رمز الى تكرار الهجوم بعد الانخذال لان ذلك من خصائص الذباب

وكان للملوك اعلام خصوصيّة عدا الاعلام العسكريّة يحملها الامراء اعضاء العائلة الملكيّة او اولاد الاشراف الذين كانوا من اركان حرب الملك وكان لهم رتبة قواد على اقسام من الجيش ومجلسهم في الاحتفالات العموميّة بقرب الملك . وبعضهم كان يحمل المراوح وبعضهم عرش الملك حين ذهابه الى الهيكل وبعضهم الصولجان الى غير ذلك مما حسبة المصريون اسمى غايات الشرف

اما اسلحة الهجوم فكانت القوس والرمح ونوعين من المزاريق والمقلاع والسيف المستقيم والخنجر والفاس والنبوت وغيرها . واسلحة الدفاع الخوذة والدرع والجرامق

وكان للمصريين والنوبيين مهارة في رمي النبال ويحكى عن كمبيسس انه لما اتى مصر قدموا له قوسًا نوبيّة ليلويها فعجز هو ونخبة رجاله عن ليها

ومن بدائع آلات الحرب المصريّة المركبات وكانت غالبًا تسع محاربًا والسائق ففي وقت السلم كان الراكب يسوق مركبته بنفسه ويجري السائق غدوًا امامها كالمجرى في عصرنا هذا واما في وقت الحرب فالسائق يسوق خيل المركبة

وكانت المركبات غاية في الخفة مصنوعة من خشب ومشدودة باطواق الحديد والجلد ولم يكن لها مقعد للجلوس فكانوا يقفون فيها . وفي بعضها كان محل الوقوف شبكة من حبال وذلك لكي لا يحصل من مرورها ارتجاج . وكان على جانبها كنانة الاسهم وقذفه كانت غالبًا منقوشة نقشًا بديعًا وعليها صورة اسد وكان يجر المركبة فرسان بالعدة الكاملة كانوا يلبسونها في الاحتفالات العموميّة شالاً ثمينًا مذهبًا ويضعون على راسيهما عرفًا من الريش الفاخر

وعدا الجيش المصري السابق وصفه كان للمصريين جيوش اخرى يستاجرونها من الممالك المتحابة او التي قهروها ويضمونها الى الايات ويدربونها احيانًا على النظام المصري الحربي مع بقاء الحق لها باستعمال اسلحتها وملابسها . غير انه لم يكن لهذه الجيوش اراضٍ في البلاد بل كانت الحكومة تدفع لهم اجرة فيحاربون معها في الممالك البعيدة او يبقون لحراسة البلاد حين تغيب عساكرها

ذكرت جريدة الزارع الفرنسويّة مقدار غلة حشيشة الدينار في الدنيا فقالت ان غلة انكلترا نحو ٢٢١ الف قنطار (مصري) وهي تنفق في السنة نحو ٥٩٠ الف قنطار لاجل البيرا وغلة الولايات المتحدة الاميركيّة ٢٩٤ الف قنطار وهي تنفق في السنة ٢١٩ الف قنطار وغلة كل البلدان ١٠٤٤ الف قنطار مع ان معامل البيرا تحتاج في السنة ١٦٨١ الف قنطار